الهجرة غير المشروعة...أي واقع وأي حلول؟

Illegal Migration...What Is Thr Reality? What Solutions?

ضاوية وداش [1]

[1] كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر -02 (الجزائر)، odaouia@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2019/05/23 تاريخ القبول:2020/08/26 تاريخ النشر: سبتمبر2020

ملخص:

تعد ظاهرة الهجرة غير المشروعة من المواضيع الشائكة المطروحة للدراسة في شتى بقاع العالم وعلى كافة مستوياتها المؤسساتية، بحيث لا تكاد تنفك أي مؤسسة باختلاف طبيعتها وأي وسيلة إعلام واتصال و تواصل عن الحديث عنها، ومحاولة تحليلها وفق المستجدات التي تطرأ عليها باستمرار خصوصا في ظل تقلب الأوضاع الأمنية والاقتصادية والاجتماعية والتي رمت بثقلها على سيرورة تفاقم هذا النوع من الهجرة واستفحالها، وبما أن للهجرة غير المشروعة تداعياتها على المهاجر و أسرته ومجتمعه وكذا على الطرف الآخر المعول الهجرة إليه، سنحاول التركيز من خلال وريقاتنا هاته ،عن الأبعاد الاجتماعية لهذه الظاهرة آخذين بعين الاعتبار أهم العوامل التي لها دخل في استفحالها بالمجتمع الجزائري ،لأنها لم تعد فقط تمس الشباب الذكور باعتبار المجتمع الجزائري مجتمعا فتيا، بل مختلف الفئات العمرية والنوعية له.

الكلمات المفتاحية : الهجرة غير المشروعة ،الحرقة ، العولمة، مؤسسات التنشئة الاجتماعية،الاغتراب، اللامعيارية.

Abstract

Illegal migration is one of the topical issues which almost touches every institution, apart from its nature, its means of communication or its social networks does not cease to evoke it or to try to analyze it because of its impact on the emigrant, his family and society on one hand, and on the destination country on the other.

Therefore, these present sheets will focus on the social dimensions of this phenomenon taking into account the main factors that led to its growth in the Algerian society, indeed, it does not affect only the young male layer given that Algeria is a young society but it also touches different segments of ages and natures.

Key words: Illegal migration; Globalization; Socializations Institutions; Alienation; Anomie.

المؤلف المرسل: ضاوية وداش ، الإيميل المهني: odaouia@yahoo.fr

مقدمة

تعد ظاهرة الهجرة قديمة قدم التاريخ لكن وتيرة تزايدها المستمرة هي التي تبقى حيز الدراسة والتحليل ، بحيث أصبحت أنماط الهجرة تعبر عن التغيرات التي طرأت على العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين دول العالم، وقد قدر عدد المهاجرين حول العالم سنة 1990 بنحو ثمانين مليون شخص، عشرين مليون منهم لاجئين وهذا الرقم في تزايد مستمر حتى أطلق على هذا العصر أنه عصر الهجرة.[1]

لقد ميز الدارسون أربعة نماذج لوصف التحركات السكانية في العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فهناك النموذج التقليدي الكلاسيكي للهجرة وينطبق على بلدان مثل كندا والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا والتي أنشأت ونمت تاريخيا باعتبارها شعوب من المهاجرين، كما شجعت هاته الدول الهجرة وفق أنظمة حصص سنوية، كما نجد النموذج الكولونيالي الاستعماري الذي مثلته عدة دول مثل بريطانيا وفرنسا والتي تعطي الأولوية للمهاجرين القادمين من مستعمراتها السابقة، وهناك نموذج العمال الضيوف والذي بموجب هذا الأخير يجري قبول المهاجرين لتلبية احتياجات سوق العمل بصفة مؤقتة و غالبا لا يتمتعون هؤلاء بحقوق المواطنة، ونجد ألمانيا وسويسرا وبلجيكا من المتبنين له، أما النموذج الأخير فهو نموذج الهجرة غير المشروعة والتي تفشت نتيجة القيود المشددة التي وضعتها الدول الصناعية على الهجرة [2].

أما بالنسبة لاتجاهات الهجرة العالمية، فقد تميزت هي الأخرى بأربعة خصائص وفق كاستلز وميلر (Castels and Miller.1993) أولها تنامي عدد المهاجرين بمستويات غير مسبوقة وثانيها التنوع، بحيث تقوم البلدان المستقبلة بقبول أنواع مختلفة من المهاجرين خلافا لما كانت عليه (العمال، المهاجرين، طالبي اللجوء) ، والخاصية الثالثة هي العولمة، بحيث اتخذت الهجرة طابعا عالميا يشمل أعدادا أكبر من الدول سواءا أكانت مرسلة أو مستقبلة للمهاجرين، أما الخاصية الحديثة فهي التأنيث، بحيث ازداد عدد النساء المهاجرات نتيجة تغيرات سوق العمل العالمي (عاملات البيوت، السياحة الجنسية، المتاجرة بخدمات النساء).[3]

أما بالنسبة لظاهرة الهجرة السرية أو غير المشروعة باختلاف تأويلاتها، فقد أضحت قضية الساعة في العالم برمته و في الجزائر خاصة، فقد أدى تشديد الإجراءات القانونية للهجرة سيما إلى بلدان الاتحاد الأوروبي بالسنوات الأخيرة إلى التوجه نحو هذا النوع من الهجرة، فحسب دراسة عيدات أحمد فإن قضايا الهجرة السرية في الجزائر ارتفعت بنسبة 300 % .[4]

جدول: تقديرات لعدد المهاجرين غير الشرعيين بالآلاف الدين دخلوا الاتحاد الأوربي ما بين سنة 1993-1999

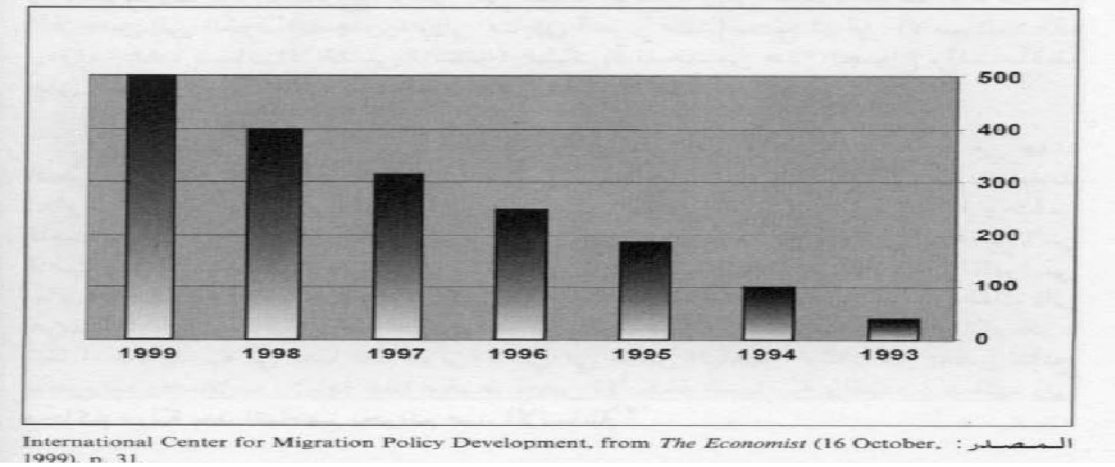

المصدر: أنتوني غدنز(2005)،علم الاجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 332

بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، أصبحت دول إفريقيا تشكل منبع خطر وتهديدات أمنية وفق التصورات الجيوأمنية الدولية، لما تواجهه من إرهاب وجريمة منظمة عابرة للحدود، لذا نجد أن الدول الأوربية قد غيرت من استراتيجيتها للأمن وضاعفت من إجراءات الضبط على الهجرة في ما يخص الإجراءات الأمنية مما دفع من ازدياد وتيرة اللجوء للهجرة غير الشرعية، وبحسب تقارير دولية للأمم المتحدة يجني المهربون من إفريقيا إلى أوربا ومن أمريكا الجنوبية والوسطى إلى أمريكا الشمالية نحو 06 مليارات و 800 مليون دولار سنويا. كما أشارت بيانات منفصلة لوزارة الدفاع إلى أنه منذ بداية العام 2018، تم القبض على نحو 500 مهرب جزائري من أصل نحو 1200 مهرب.[5]

وبحسب شبكة أورونيوز فقد بلغ عدد المهاجرين 618780 مهاجر غير شرعي يقيمون في الاتحاد الأوروبي خلال العام 2017، وتشير أنه حوالي 37% تقريبا من غير الأوروبيين وجودهم غير قانوني في دول الاتحاد في العام 2017 .[6] وفي تحقيق أجرته اللجنة الدولية للتضامن مع الشعوب حول المهاجرين غير الشرعيين في الجزائر والذي يشمل عينة تقدر ب 2000 مهاجر ثبت أن 40% منهم يعتبر الجزائر المقصد النهائي و 40% الأخرى ترى فيها مجرد مركز للعبور لأوروبا، وتمثل النسبة الباقية مواقف متنوعة.[7]

و بشكل عام فقد سجل في منتصف عام 2019، عدد المهاجرين الدوليين ب 271.6 مليون وهو ما يمثل 3.5% من حجم سكان العالم 52% من الذكور و 48% إناث.[8]

تحتل الجزائر المرتبة الخامسة (05) في ترتيب الجنسيات الأكثر إقبالا على الهجرة غير الشرعية إلى أوربا، وسجل معدل 06% من مجموع المهاجرين الذين عبروا المتوسط بين جويلية وسبتمبر 2017، حسب تقرير مفوض الأمم المتحدة السامي لشؤون اللاجئين.

كما يطلق على الهجرة السرية في مجتمعنا مصطلح **"الحرقة"** والتي عرفها الهادي بوشمة على أنها "مفهوم سوسيولوجي يعبر عن تأزم سوسيو نفسي واقتصادي خص من خلال المشهد الفكري والثقافي المغاربي والجزائري على وجه الخصوص وتعتبر الفئة الشبابية الأكثر تفاعلا مع هذه الظاهرة ".[9] خصوصا إذا ما علمنا أن 54% من التركيبة السكانية للجزائر هي من فئة الأقل من 30 سنة، أي ما يعادل 22.48 مليون نسمة من إجمالي السكان حسب الديوان الوطني للإحصائيات.

وعليه وفي ضوء هذه الإحصائيات المسجلة يمكننا أن نتساءل عن تلك الدوافع والأسباب التي تجعل المهاجر السري يتخذ مثل هذا القرار الخطير الذي يكلفه فقدان هويته ومواطنته وحتى حياته؟

وللإجابة عن سؤالنا اقترحنا بعض الأسباب والدوافع التي رأينا أنا تؤثر بشكل مباشر وتشجع هؤلاء المهاجرين على خوض هذه المغامرة، وسنلخصها في بعض المحاور .

1- مفهوم الهجرة غير المشروعة

لقد اختلفت وتعددت تعاريف الهجرة غير المشروعة حسب اختلاف الدول وقوانينها وكذا منظور كل منها لهذا الحراك، فمنهم من يسميها هجرة غير الشرعية أو غير مشروعة، ومنهم من أطلق عليها تسمية الهجرة غير النظامية، فالهجرة السرية وصولا إلى مصطلح "الحرقة" في بلدان المغرب العربي، وتعرف منظمة الأمم المتحدة الهجرة غير الشرعية على أنها "دخول غير مقنن لفرد من دولة إلى أخرى عن طريق البر أو الجو أو البحر... و لا يحمل هذا الدخول أي شكل من أشكال تصاريح الإقامة الدائمة أو المؤقتة، كما تعني عدم احترام المتطلبات الضرورية لعبور حدود الدولة [10].إذ يقسم هذا النوع من الهجرة طبقا لقواعد القانون الدولي الخاص إلى نوعين، النوع الأول: الهجرة غير الشرعية – بالمعنى المتعارف عليه – أي عدم حمل المهاجر لوثيقة سفر وعدم تمتعه بالإذن الشرعي للخروج من بلده و الدخول للبلد المراد الهجرة إليها.

أما النوع الثاني: فهو يبدأ بطريق غير شرعي – أي تتوافر به كافة ما سبق ذكره و لكن يقوم ذلك الشخص بتقنين وضعه طبقا لقوانين تلك الدولة.[11]كما لا تقتصر الهجرة غير الشرعية على دخول بلد بشكل غير قانوني، بل حتى للذين انتهت مدة إقامتهم وبقوا، أو للذين يدلون بتصريح كاذب عن أسباب زيارتهم وغيرها...

أما بشأن الهجرة السرية فيعرفها بيار فرانسيس على أنها " تلك التي تتم سرا ومن دون علم السلطات المختصة أو الجهات الرسمية وخارجة عن القانون والأعراف الدولية".[12]

هذا بالنسبة للتعريف الرسمي للهجرة غير الشرعية، أما بالنسبة لنا كمجتمع جزائري ومغاربي لدينا ما يقابلها من مرادف وهي "الحرقة"، عرفها الأستاذ سلامنية بن داوود على أنها "مشتقة من فعل " حرق وتعني الحرق والمحاريق ويعني العبور بصفة غير شرعية لحاجز، طابور من الأشخاص أمام دكان، إدارة ، مصلحة جمارك، قنصلية...إلخ من أجل الوصول إلى الجهة الأخرى أو الحاجز أو الحد مثلها مثل العبور إلى البحر

المتوسط، وهذا حتى يجدوا أنفسهم في الطرف الآخر من الحدود مهاجرين غير شرعيين في انتظار تسوية وضعيتهم حتى يتسنى لهم أن يعيشوا بسلام وحتى يكونوا كباقي المهاجرين الشرعيين".[13]

كما يمكن أن يكون المقصود منها إحراق المهاجر غير الشرعي كافة وثائقه الثبوتية أثناء رحلته لضمان عدم إرساله لموطنه الأصلي في حال ما إذا قبض عليه. ومنه وعلى ضوء هذا المدلول للحرقة، يمكننا أن نلمس نفسية المهاجر غير الشرعي الذي رمى وراء ظهره كافة مقومات وجوده وحياته كفرد ومواطن وإنسان له الحق في الحياة من أجل مغامرة يمكن أن يبلغ بها مقاصده ويمكن أن لا يستطيع ذلك!

2- مشكلة البطالة و الفراغ لدى الشباب الجزائري:

2-1 مشكلة البطالة

أطلق أستاذ الاقتصاد السعودي محسون جلال على القرن الجديد ب "قرن البطالة"، وحسب الديوان الوطني الجزائري للإحصائيات يعتبر البطال كل شخص ما بين 16 و 59 سنة، بدون عمل و صرح بأنه قادر على العمل، والذي يبحث عن عمل في فترة المسح.[14]وقد بلغت نسبة البطالة 11,1% في أفريل 2018، مقابل 11,7 % في سبتمبر 2017، ما يمثل تراجعا ب 0,6 نقطة بين الفترتين، أما عدد السكان البطالين فقد بلغ 1,378 مليون شخص (مقابل 1,440 مليون شخص في سبتمبر 2017 و 1,508 مليون شخص في أفريل 2017) و بلغت نسبة البطالة 9 % عند الرجال و 19,5% عند النساء، في حين تم ملاحظة تباينات محسوسة في معدلات البطالة بالنظر لعوامل السن و المستوى التعليمي والشهادة المحصل عليها، كما بلغت نسبة البطالة لدى فئة الشباب الذين يتراوح عمرهم بين 16 و24 سنة 26,4 %، مقابل 28,3 % في سبتمبر 2017، ما يمثل تراجعا ب 1,9 نقطة.

و فيما يتعلق بتوزيع البطالين حسب الشهادة التعليمية المتحصل عليها، فقد تم تسجيل 680.000 بطال لا يملكون أي شهادة، ما يمثل حوالي نصف إجمالي عدد السكان البطالين (49,4 %)، و من إجمالي السكان البطالين، يمثل خريجو التكوين المهني نسبة 25,7% ، في حين أن خريجي التعليم العالي يمثلون نسبة قدرها 24,9 %. و في المتوسط، فان ستة (6) بطالين من أصل عشرة (10) هم بطالين منذ فترة طويلة، ما يمثل نسبة 59,2% و قاموا بمبادرات من أجل الحصول على عمل منذ سنة و اكثر.

وعليه نستشف من خلال هذه القراءة الإحصائية، أن نسبة الشباب البطال المسجلة نسبة لا يستهان بها، باعتبارهم أغلبية تمتلك قدرات وطاقات كامنة تريد تفجيرها واستغلالها ولا تجد السبيل إلى ذلك، ولأن العمل ليس فقط استقرارا ماديا بل نفسيا واجتماعيا. وفي هذا الصدد نذكر نظرية الباحث "إيفرت لي" عن عوامل الجذب وعوامل الطرد والحواجز بينهما المفسرة لعوامل الهجرة بشكل عام .[15]بحيث أوضح فيها أن هناك مظهرين لدوافع

الهجرة، أولهما إيجابي والثاني سلبي، بحيث يرى أن الهجرة قد تحدث بسبب البحث عن فرص العمل ومستوى معيشي أفضل، و في هذه الحالة يمثل مجتمع الوصول بيئة وقوة جاذبة للمهاجرين، أما إذا كانت الهجرة بسبب التخلص من أوضاع اقتصادية واجتماعية غير مرغوب فيها، فتكون منطقة الأصل منطقة طاردة.

كما يرى "ايفرت لي" أن كل منطقة لها عوامل جذب وطرد وعوامل متداخلة بينهما، وهذا إضافة إلى عوامل شخصية تحدد استجابة الأفراد إلى عوامل الطرد والجذب في مكاني الأصل والوصول. وعليه فقد حدد هذا الأخير في مقاله نظرية الهجرة عدة عوامل يتأثر بها قرار الهجرة وهي: عوامل مرتبطة بالمنطقة الأصلية للمهاجرين، وعوامل مرتبطة بمنطقة استقبال للمهاجرين، و عوامل متداخلة بين المنطقتين، وأخيرا عوامل شخصية.[16]

وعليه نستنتج أن هناك بيئتين طاردة، وهي غالبا ما تكون تلك المجتمعات النامية التي يعاني أفرادها من تدني المستوى الاقتصادي والاجتماعي والتخلف والقهر، والتي غالبا ما تشهد كذلك نموا ديمغرافيا سريعا وضخما لا يتماشى مع عجلة النمو الاقتصادي والاجتماعي البطيء لبلدانها، أحال بدوره شبابها إلى البطالة والتهميش، بحيث قدرت الأمم المتحدة بأن ما نسبته 23% من سكان منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا يعيشون على أقل من دولارين في اليوم.[17]

أما البيئة الأخرى المقابلة لها، فهي بيئة جاذبة تكون حركة السكان نحوها، وهذا بتوفرها على كل مقومات الحياة الكريمة من فرص عمل وحماية اجتماعية وتقدم تكنولوجي وغيرها من المغريات والتي غالبا ما تكون دولا متقدمة كأمريكا و أوربا وغيرها... و التي يقصدها الشباب بحثا على ما افتقروا إليه في موطنهم الأصلي، إذ تشير إحدى الدراسات أن 90% من المهاجرين هاجروا من أجل العمل و 10%، هم من المصاحبين لهم (الزوجة والأولاد). [18]ومنه نستطيع أن نخلص بأن نقول أن العامل الاقتصادي المادي له تأثير كبير في قرار الهجرة فعلى حد تعبير ألفريد صوفيAlfred Sauvy، " إما أن ترحل الثروات حيث يكون البشر أو يرحل البشر حيث توجد الثروات" [19]. لكن لا يمنع ذلك من أن نعقب ونقول بأنه وفق هذا المنظور تعتبر الجزائر بلدا طاردا لسكانه لكن في الوقت نفسه يمكن اعتباره بلدا جاذبا أيضا وهذا وفق الواقع الذي نشهده من تدفق العمالة الصينية والعمالة الإفريقية الفقيرة والتي يمكن بالنسبة للفئة الثانية أن تكون قد اتخذت من الجزائر بلد عبور لها للضفة الأوربية، لكن تبقى شريحة كبيرة منهم تفضل الاستقرار بالجزائر، هذا ما يجعلنا نقول أن الجزائر هي بلد جذب وطرد في الوقت نفسه.

لقد تعرضت نظرية الجذب والطرد لعديد من الانتقادات خصوصا من طرف نظرية أنساق الهجرة التي ذهبت انه لا يمكن لعامل واحد فحسب أن يفسر عملية الانتقال للإقامة أو العمل في بلد آخر، إذ يعتقد منظروها أن كل عملية هجرة هي محصلة للتفاعل بين المسارين الكلي والجزئي، فالكلي يتمثل في حاجة البلدان لليد العاملة والأوضاع الاقتصادية للبلد الأصلي التي لا تحقق لهم طموحهم المادي، أما على المستوى الجزئي

المصغر فتمثلت في تأثير شبكة العلاقات والقنوات غير الرسمية التي تعزز التضامن والدعم بين أفراد الجالية والبلد مثل حالة مهاجرين تركيا في اختيارهم لألمانيا كوجهة مفضلة لديهم لما توفره لهم من دعم وسط جاليتهم.[20]

كما ذكر تقرير صادر عن الأمم المتحدة أن أسباب الهجرة غير الشرعية يعود إلى ازدياد أعداد شباب دول العالم الثالث وتناقص فرص العمل، بالإضافة إلى زيادة الفوارق بين الدول الغنية والفقيرة، وازدياد الوعي بهذه الفوارق [21]وهذا ما يخلق هوة بين دول طاردة و مصدرة للمهاجرين ودول مستقطبة ومستقبلة لهم، بغض النظر إن كان شباب تلك البلد يعيشون في فقر حقيقي أوفي فقر نسبي، لأن ذلك يعود لمخيالهم الاجتماعي عن مفهوم الفقر في حد ذاته، بحيث أكدت تقارير التنمية البشرية أن 51% من الشباب العربي أعرب عن رغبته في الهجرة من بلاده، وذلك راجع إلى ازدياد شعور الناس بالإحباط إزاء آداء دولهم بمقابل ما يرونه من ارتفاع مستويات الرفاهية لدى الآخر[22]، فحسب آراء العلماء الوظيفيين يمكن أن يكون الانحراف نتيجة اللامساواة الاقتصادية وانعدام تكافؤ الفرص والذي عبروا عنه بتلك الفجوة بين التطلعات والمعايير والفجوة بين الفئات المرفهة والفئات المحرومة في الهرم الاجتماعي [23].وعليه فشباب الجزائر حاله حال باقي الشباب العربي الذي يتخبط في البطالة وما تسببه من تنام للمشاكل الاجتماعية والنفسية، خصوصا وأن هذه الأعداد الهائلة من الشباب لم يستطع استيعابها سوق العمل الذي لا يتماشى ومخرجات المؤسسات التعليمية والتكوينية بأنواعها.

2-2 الفراغ

يعد الفراغ ألّد أعداء الإنسان لما يسببه من قتل للإبداع الإنساني والمواهب، فهو يدخل الفرد في دوامة الرتابة أو الروتين الذي يؤدي به في الغالب للتفكير في الطرق التي تجعله يقتل وقته، فشتان بين التفكير في كيفية استغلال كل لحظة من العمر وبين التفكير في قتله!

والفراغ بالمعنى الحقيقي للكلمة لا يمكن وجوده إلا اذا أخذت الضروريات كفايتها من الوقت كالنوم والراحة وإلا نقص عنصرا هاما من مقومات الفراغ وهو وجود الإنسان في حالة خلو مما يمكن أن تفرضه حياته العضوية و المعاشية كالمرض أو العمل فالبطالة لا تسمى فراغا بحيث انه بقدر جدية العمل تظهر ضرورة الفراغ وأهميته واضحة.[24]لكن في حالة انعدام فرص العمل يمكن أن نتطرق إلى نوع آخر من الفراغ يعيشه الفرد وتسببه له بطالته ونستطيع أن نطلق عليه تسمية الفراغ المزمن والذي يكون كالمرض الذي يزاول صاحبه لا برء منه إلا باجتثاث مسببه و توفير منصب الشغل له. هذا لأن أغلب العلاقات الاجتماعية للفرد تكون مرتبطة بالمكانة الاجتماعية التي يعتبر منصب العمل أهم عامل محددا لها، ووفقا لما توصل إليه تالكوتبارسونز في نظرية النسق الاجتماعي " أن لكل عضو داخل هذا النسق دور ووظيفة يقوم بها وفق مكانة معينة يحتلها والتي تتكامل فيما بينها في سبيل تحقيق الهدف العام للنسق"، و عليه فافتقاد الفرد للعمل يجرده من أي دور ووظيفة داخل مجتمعه مما يجعله يشعر بعدم جدواه، فيصبح هذا الأخير أقل احتكاكا بالأفراد ويعزل نفسه عن مجتمعه الذي يذكره بفشله في إيجاد منصب شغلو خلق مكانة له وهذا ما يطلق عليه بالعزلة الاجتماعية و ما ينجم عنها

فيما بعد من تهميش له من طرف مجتمعه كرد فعل طبيعي اتجاهه، وفي هذا الصدد نذكر أن مفهوم العزلة والتهميش ظهر مع مؤسس مدرسة شيكاغو روبرت إزرا بارك سنة 1928، في دراسته لأحياء المهاجرين بشيكاغو أو ما يطلق عليها "بالقيتوهات" وما انجر عن هاته الأحياء من مشاكل في الاندماج وآفات اجتماعية عديدة، كما أنه عند تكلمنا عن العزلة والتهميش وجب علينا التطرق لمفهوم الاغتراب والذي استعمله هيغل في تحليله للاغتراب الفكري و ماركس في تحليلاته الاقتصادية، وفي كلا المضمونين يقصد به إحساس الفرد وشعوره بأنه غريبا عن مجتمعه[25]، والذي يستخدم الآن في العلوم الاجتماعية وأبرز ما قدم في السياق مقال "سيمان" seeman حول استخدامات الخمسة لهذا المصطلح فنجد المعنى الأول له، هو انعدام القوة التي يشعر الفرد بأنه ليس لديه القدرة على التأثير بالمواقف الاجتماعي المحيطة به، والثاني هو فقدان المعنى وهو عجز الفرد عن الوصول إلى قرار أو ما يبغي فعله أو إدراك ما يجب أن يعتقده موجها لسلوكه، أما المعنى الثالث له فقد تمثل في فقدان المعايير وهو لجوء الفرد لاستخدام أساليب غير مشروعة وغير موافق عليها اجتماعيا لتحقيق أهدافه، وبشأن المعنى الرابع له فهو العزلة ومعناها انفصال الفرد عن تيار الثقافة السائد وتبني مبادئ أو مفهومات مخالفة مما يجعله غير قادر على مسايرة الأوضاع القائمة، والمعنى الخامس للمصطلح هو غربة الذات وهي إدراك الفرد بأنه أصبح مغتربا حتى عن ذاته. وقد أدى هذا الاهتمام بالمصطلح بظهور مصطلحات أخرى تنطوي على هذا الأخير مثل اللامنتمي، الهامشي، اللامعياري.[26]

والمتأمل في المصطلحات الشبابية في أيامنا هذه سيلاحظ أنها لا تخرج معانيها عن هذا المصطلح الذي يترجم حالة الانفصال الذي يعيشها الفرد بينه وبين مجتمعه، وهو الإحساس الذي يدلي به غالبية المهاجرين السريين وغيرهم في شتى المناسبات وفي مختلف الأماكن التي يرتادونها تحت مسميات عدة أشهرها في "بلادي راني محقور" أي ضعيف و مهمش، أو "رانا آوت Out ما راهمش سامعين بينا"، أي نحن خارج المجال سواء المجتمع أو سياسات التخطيط... أو غيرها من التعبيرات الشعبية التي تشير إلى مفهوم الاغتراب والتهميش.

وفي السياق نتطرق إلى نظرية أبراهم ما سلو وهرمه الشهير للحاجات (1908-1970) Hierarchy of needs بحيث وضع تسلسلا هرميا للحاجات الأساسية للإنسان منطلقا من أن عدم إشباع هاته الحاجات الإنسانية يخلق توترا عند الأفراد تجعلهم يوجهون سلوكهم نحو العمل لتحقيق الأهداف الأكثر فائدة لها ورتبها وفق خمسة حاجات: حاجات فيزيولوجية" مثل المأكل والمشرب، الملبس، الزواج ... وحاجات الأمن في النفس والمسكن والوظيفة، حاجات الانتماء للجماعة والمجتمع وتحقيق التوافق مع الآخرين، وحاجات التقدير التي يشبعها الفرد عن طريق مؤسسات التي يتعامل معها، الأسرة، المدرسة، العمل...وحاجات تقدير الذات و ذلك بالإنجاز والنجاح في بلوغ هدفه و الرضى عن نفسه [27]، وعليه و وفق الهرم ماسلو للحاجات، يمكن أن نتساءل هل استطاع المهاجر الجزائري إشباع كل هذه الحاجات في وطنه الأم ؟ أظن أنغالبيتهم لم تتمكن من ذلك، وما نشهده من أزمات السكن والبطالة و العنوسة والعنف والتعاطي و الإتجار بالمخدرات...خير دليل على ذلك،لذا وجب أن نقول أن مازالت شريحة كبيرة من الشباب الجزائري تتخبط من أجل الصعود لبداية سلم الهرم لإشباع حاجاتها الفيزيولوجية، ناهيك عن الحاجات الأخرى(الأساسية طبعا) لذا فالتوجه لاتخاذ مثل هذا القرار الخطير

يعتبر طبيعيا بالنسبة له، وحلا ضروريا لتجاوز مختلف أزماته وتأمين نفسه عن طريق القفز نحو المجهول في سبيل إشباع حاجاته التي لم يستطع تلبيتها في بيئته الأصلية ليبدأ بعدها في شق مسيرته الاجتماعية للارتقاء.

بما أن الحضارات الإنسانية تقوم على العمل، فإنها أيضا تقوم على أساس استخدام وقت الفراغ لأن الكثير من معالمها تكونت من المجهودات الحرة للشعوب في أوقات فراغها فالفن والموسيقى والعمارة والنحت والشعر والأدب، كل هذه المظاهر التي غدت تراث الإنسانية العقلي وغذائها الروحي قد تنبعث من النشاط التلقائي المثمر في أوقات الفراغ"، لذا فان التصور الحديث لوقت الفراغ يقوم على المزج بين القيم الفردية والقيم الاجتماعية ، فلكي تتحقق الحياة السليمة لكل من الفرد والمجتمع يجب أن يكون وقت الفراغ موجها لنواحي النشاط الاجتماعي التي تكسب الفرد قوة وتجربة والمجتمع ارتباطا ورقي.[28]هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فطريقة قضاء وقت الفراغ تؤثر في العمل ومردوديته والإقبال عليه، لذا وجب علينا التطرق لآثار الفراغ أو القطيعة إن صح التعبير بين الفرد ونفسه و مجتمعه، هذا لأن العمل والإنجاز خصوصا، يجعل الفرد يدرك أهمية الوقت وكيفية استغلاله بطريقة ناجعة عكس الفراغ الذي يجعله يدخل في دوامة الرتابة والملل، و في هذا المقام نتكلم عن النقص المسجل الذي تشهده مناطق بلادنا في مرافق التنشيط والترفيه والتسلية والتي من شأنها أن تمكن الشباب من إطلاق العنان لإمكانياتهم ومواهبهم واحتواء انشغالاتهم الثقافية والفنية وغيرها، وكذا تعمل على كسر روتين العمل الذي يعيشونه وتجدد طاقاتهم وتزيد من مردوديتهم، كما أن المرافق الشبابية والثقافية المتوفرة في أغلب المناطق الشمالية والساحلية تفتقر لبرامج عصرية محّينة تواكب الحداثة هذا ما تسبب في هدر لطاقات إبداعية شبابية على نواصي الشوارع وبالمقاهي وغيرها من الأماكن الهامشية التي تنتج لنا أمراضا اجتماعية.

3- وسائل الإعلام ومواقع التواصل

لقد جعلت وسائل الإعلام والاتصال ومواقع التواصل من العالم قرية مفتوحة على كل الثقافات في ظل عولمة جارفة، سهلت سبل الاتصال والتواصل الاجتماعي بأن جعلته في متناول الجميع و أوصلته حتى المناطق النائية التي قد تجدها تفتقر لأدنى ضروريات الحياة باستثناء الهاتف الذكي أو شبكة الأنترنيت، وما تقدمه هاته الأخيرة من مغريات ونمط حياة غربي حر ومتطور ومرفه يتماشى وطموحات الشباب التي يرنو إليها حاليا، حتى وإن كان يشوب هاته الصورة النمطية الكثير من المغالطات والتي من بينها أن مثل هكذا حياة ليست متاحة للكل، الأمر الذي يكتشفه المهاجر بعد وصوله إلى الضفة الأخرى، وإن أتيحت له فتكون بالعلم والعمل والجهد و بعض التنازلات في أغلب الأحيان، بحيث كشفت دراسة حديثة أجرتها مؤسسة هانس بوكلير أن عدد الأطفال واليافعين والمسنين الذين يعيشون عند حافة الفقر في ألمانيا قد ارتفع في عام 2016، وتشير الدراسة نفسها إلى أن أطفال اللاجئين يعانون من الفقر بشكل خاص، بحيث بلغت نسبة الفقراء بين صفوف المهاجرين إلى 28.1% للسنة نفسها، وذكرت الدراسة على سبيل المثال أن نسبة 82% من السوريين و70 % من العراقيين يعيشون على حافة الفقر[29]، الأمر الذي لا يبدو جليا في غالب وسائل الإعلام! لكن هذا لا يعني

أننا ننفي تطور بلدان الشمال لكن وجب علينا وعلى أولئك المهاجرين رؤية الصورة من كافة الأبعاد، فهناك الكثير من المصاعب والمشاكل التي لا يصرح بها أغلب المهاجرون العائدون أو الزائرون للوطن (في حال تسويتهم للوضعية) إذ وحسب دراسة أجراها مركز دراسات اللاجئين لسنة 2006، فإن المهاجرين الذين يعبرون منطقة البحر المتوسط هم ضحايا للإتجار بالبشر.[30]والتي تعد بدورها ثالث أكبر تجارة غير شرعية في العالم بعد تهريب السلاح و الإتجار بالمخدرات، إذ تعد عوائد النشاط الإجرامي ببلايين الدولارات سنويا مما يجعلها شكلا من أشكال الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية[31].وفي دراسة عن مشاكل المهاجرين النفسية أوضحت أن هؤلاء يعيشون في قلق دائم نتيجة عدم الشعور بالأمان والانتماء و انخفاض الروح المعنوية [31].

كما أكدت الدراسة التي قام بها العيد فقيه أنه توجد علاقة ارتباطية سالبة بين الصحة النفسية والهجرة السرية، أي كلما اتجهنا نحو الشاب الذي خاض تجربة الهجرة السرية انخفضت درجات الصحة النفسية. [33]لكن يبقى البعض من هؤلاء المهاجرين الذين يبدون مظاهر البذخ والنجاح الاجتماعي حين عودتهم نموذجا يحتذى بهم باعتبار الرقي المادي والاجتماعي الذي حققوه والتي تضاعف بدورها رغبة الشباب الآخر في الهجرة، وعليه فالفرد يمتلك استعدادا للهجرة حتى وان كانت غير مشروعة بتأثره بوسائل الاتصال المعولمة و بدافع قوة التقليد والاستهلاك من دون إنتاج أو على الأقل إعادة إنتاج للمحتوى الاجتماعي والثقافي الجزائري الأصيلفي ظل ضعف المنظومة الأسرية والاجتماعية والثقافية المسؤولة على تنشئة الشباب من خلال نقل القيم الأصيلة والنبيلة للمجتمع الجزائري من جيل إلى آخر، ودمجهم وتكيفهم مع مجالهم الذي أصبح يشهد أوضاعا صعبة ومعقدة،تجعل الحفاظ على منظومة قيمية أصيلة وثابتة مهما كانت صبغتها أمرا صعب المنال، وسنوضح ما المقصود بمؤسسات التنشئة الاجتماعية بشكل أكبر لتبيان دورها وأهميتها في اتخاذ قرار الهجرة السرية.

4- مؤسسات التنشئة الاجتماعية في ظل التغير القيمي

ويقصد بالمؤسسات الاجتماعية مجموعة من الأفراد لهم ذاتية وبنية اجتماعية محددة يتفاعلون فيما بينهم فتحدد أنماطهم السلوكية وأدوارهم التي تميزهم [34]، والتي يمكن للأسرة، المسجد، المدرسة بشتى أطوارها، الحي... أن تندرج ضمنها. ويقول "غي روشيه"، أن للتنشئة الاجتماعية مظاهر أساسية هي:

- اكتساب الثقافة من خلال اكتساب نماذج وقيم وطرق تفكير وفعل .

- دمج الثقافة في الشخصية، بحيث لا تقتصر فقط على نقل القيم والمعايير والقيم والقواعد، بل هي في الأساس تكوين تصور عن العالم بواسطة تكوين "قانون رمزي" منسجم شكل نسق مرجعي ومقيم للواقع، بحيث أن هذا النسق المرجعي يملي السلوك ويفترض هذا اكتساب واستعمال اللغة التي هي بنية للعلامات والرموز التي ترجع التصورات العقلية للفرد.

- التكيف مع المحيط الاجتماعي، فالتكيف هو النتيجة الأساسية للتنشئة الاجتماعية وهذا من خلال سيرورة انتماء لجماعات ومن ثم الاندماج في جماعته ووسطه وهذا ما يجعله قادرا على التكيف والاستمرار [35].

كما أنه بواسطة التنشئة الاجتماعية يتم نقل التراث الاجتماعي من جيل لآخر. لكن يقر كثير من الباحثين باستحالة حدوث تنشئة اجتماعية كاملة من جيل قديم نحو جيل جديد بحيث يوجد دائما اعتراض لبعض عادات

وتقاليد السلف وهذا ما يفسر تلك التعديلات والتغييرات الثانوية باستمرار سواءا في العادات أو الموضات أو المعتقدات أو حتى في الكلمات والتي يمكن أن تكون ناجمة عن البيئة وتطوراتها التكنولوجية .[36]

أما عن التغير الاجتماعي فعرفه "وليم أجبرن" في كتابه بحيث قال أن مفاهيم التقدم، التطور، النمو، تحمل بعدا قيميا أخلاقيا، في حين أن التغير الاجتماعي مفهوم موضوعي يصف لنا الواقع الاجتماعي كما هو وليس كما يجب أن يكون.[37]

كما يعرف معجم العلوم الاجتماعية التغير الاجتماعي على أنه كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي، سواءا في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة، ويشمل ذلك كل تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي ونظمه الاجتماعية أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكانهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها. [38]ولقد اهتم بارسونز في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية بالقيم الأخلاقية بوصفها بواعث داخلية على الفعل الاجتماعي، بحيث كانت ترتكز على أهمية تدعيم النسق من أ جل تحقق الاستقرار، باعتبار النسق الاجتماعي متوقف على محاولاته الخاصة التي يبذلها من أجل التكامل والتوافق، وذلك بدلا من النظر إلى إرادة الأفراد وبواعثهم. [39]أما "مور" W.Moor فقد اعتبر أن تغير القيم شرط ضروري من شروط التغير، و "مانهايم"، يقول أن الأفكار لا تنبثق إلا عن طبيعة روح العصر، تلك الروح التي تتمخض عن سائر العمليات التاريخية والثقافية القائمة في البناء الاجتماعي[40].

لذا يعد التغير القيمي أبرز التغيرات البنائية التي تحدث على مستوى القيم الاجتماعية هذا لأنها تحدث على مستويات شاملة تؤثر بشكل مباشر في مضمون الدور الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي.[41]ولأنه ولدراسة البناء والقيم لابد من السياق السوسيو تاريخي، نستطيع أن نقول أن الجزائر حدث بها تغير كبير على مستوى القيم وكان للأسف تغيرا سلبيا، متأثرا بالمراحل التاريخية والاجتماعية والثقافية والسياسية التي مر بها، إذ أصبحت حاليا تشهد تنوعا ومزيجا قيميا، فمن القيم التقليدية الجزائرية المحافظة التي كانت مبعثا للاعتزاز وافتخار سكانها والتي كانت السمة الغالبة لسكانها، إلى تحول لتبني قيم مادية هجينة غريبة وغربية انتشرت وروجت لها بعض وسائل الإعلام، وكذا بعض المهاجرون العائدون أو الذين يأتون لقضاء عطلهم بها، وفي هذا الصدد نعرض نتائج دراسة بليفة ميلود(2014) عن صورة الغرب في المخيال الثقافي والاجتماعي للشباب الجزائري ، والذي حاول الوقوف بها على تصورات الطلبة للغرب و تمثلاتهم لها وتحديد مرتكزاتها مع مقاربتها بواقعنا الاجتماعي الثقافي مما يساعدنا على فهمه فهما عقلانيا، بحيث خلصت الدراسة إلى ما يلي:

- التغيرات السوسيو ثقافية التي شهدها ويشهدها المجتمع الجزائري، تغيرات لا ترجع في شموليتها إلى عملية التغير المصاحبة للسيرورة الطبيعية للمجتمع الجزائري في محيطه الجغرافي وانتمائه هناك تغيرات على مستويات عدة اجتماعية، ثقافية ، فكرية وفنية ...ذات المرجعية الثقافية الحضارية الغربية، والتي أصبح لها مفعولها على هوية المواطن الجزائري عامة والطلاب الجامعيين كذلك.

- ظهور مفعول هاته التغيرات على مستوى النظرة والتصورات والمواقف وردود الأفعال الطلابية اتجاه العالم الغربي، كفضاء خارجي وللمواطن الغربي صاحب هذا الفضاء، كما أضاف بليفة أن مجمل التغيرات الكمية والكيفية الحاصلة على المستوى الثقافي والاجتماعي والمرتبطة بالمجتمعات الغربية إلى جانب أخرى مستعارة نتيجة عوامل عدة، كلها ظلت تحتفظ بمرجعيتها الغربية داخل النسق الثقافي الاجتماعي العام، وأصبحت تسهم في تشكيل ثقافة غربية دخيلة "ثقافة برانية" في تنام مستمر، مما جعلها نستنتج أن الطالب الجامعي أصبح لا ينظر للغرب بمنظار ثقافي اجتماعي جزائري خالص، بل بمنظار ثقافي تشارك فيه الثقافة الغربية الدخيلة (تلوث ثقافي) مما جعل التصورات والصور المخيالية والأفكار الناجمة عن هذا الأخيرة تعرف انحراف مقارنة بتلك التي أفرزها المخيال الجمعي الجزائري المرتبط بالأجيال السابقة التي نظرت للغرب وتعرفت عليه في ظروف ومعطيات مغايرة . [42]

وعليه وعلى ضوء نتائج هذه الدراسة، يمكن أن نقول: إن كان هذا حال نخبنا الجامعيين في ظل هذا التغير الاجتماعي، فما بالك بالشباب الذي لم تتح له فرصة تعليم كافية؟ أكيد سيكون حاله أصعب وسيحذو حذو الشباب الغربي في نمط حياته بشكل أعمى، ولو كلفه ذلك هويته ووطنه وحياته (في قوارب الموت)، خصوصا بافتقاده للأدوات التي تساعده على الرؤية الصحيحة للواقع و حسن اتخاذ القرار الصائب في الحياة، وليس مقاومة العولمة كما يطالب به البعض لأن ذلك سيكون ضربا من ضروب المستحيل.

في السياق نفسه تذهب النظريات الحديثة للتربية إلى " أن الناس يرتبطون بما يرون وما يشعرون اكثر من ارتباطهم بما يسمعون، أما عملية تحديد نص الحياة هذه فيكون من حوالي 90% أمثلة وعلاقات ونسبة 10% روايات وقصص، ولذلك فإن تشكلنا تبعا للحياة اليومية يمثل أقصى أشكال تأثرنا بها "[43].ولأن الأسرة هي النواة الأساسية لقيام مجتمع سليم لأنها المؤسسة الأولى في التنشئة الاجتماعية لأفرادها بغرس قيم ومبادئ تتوافق ومعايير مجتمعهم وجب عليها أن تبذل قصارى جهدها في تربية هذا النشأ وفقا لمعايير وقيم مجتمعنا، لكن بمراعاة ما تتطلبه الحياة العصرية وأحلام الشباب لأنه وعلى أحد تعبير أحد الحكماء يجب أن نربي أولادنا لزمان غير زماننا، وأن لا تستقيل الأسر من دورها لتتركه فقط لمؤسسات التنشئة الأخرى كالمدرسة والجامعة أو وسائل الإعلام والتكنولوجيا الحديثة وغيرها، بداعي العمل على تلبية الإمكانيات المادية لأطفالها، لأن هذا القرار سيؤثر عليهم مباشرة ويجعل منهم أفرادا ماديين يبحثون على تحقيق منافعهم الشخصية حتى على حساب الغير، سواءا كان أسرته أو وطنه وهذا ما يفسر لنا جيلا يسعى للهجرة من أجل نفسه بعد أن كان يهاجر من أجل أسرته ليعيلها وبرز مصطلح الهربة أي (الهروب من كل شيء، الواقع، الأسرة ، الوطن...) بدلا عن الغربة التي تحوي فيضا من المشاعر والحنين للأهل والوطن، لذا يجب على الأسر أن تشحذ كل هممها لكي تواجه تحديات هذا التغير القيمي الذي نعيشه والذي طغت عليه القيم المادية القائمة على أساس" الغاية تبرر الوسيلة" على حد تعبير ميكافيللي.

كما تعد المدارس والمساجد، من أهم المؤسسات التي كان لها الدور الفعال في التنشئة الاجتماعية والدينية للأفراد بعد الأسرة، فقد كانت المساجد، تقوم بدورين التربية الإسلامية أولا، وذلك من خلال تلقين الأبناء تعاليم الدين السمحة وآداب المعاملة والأخلاق الفاضلة ثم بعد ذلك التعليم، من خلال تدريس الكتابة والقراءة والحساب،

لتتطور العلوم بالتدرج المرحلي للطالب، أما الآن فلا نكاد نجد ما نتحدث عنه بخصوص دور المسجد التربوي والتثقيفي الذي تراجع وسط الانجراف نحو التقدم، و باكتفاء الأسر بالمدارس الأكاديمية والدروس الخاصة، مهملة بذلك الشق التربوي الديني الذي كانت تغطيه هاته المساجد واستطاعت أن تنتج شبابا قاوم إغراءات العصرنة التي كان يزعمها الاحتلال الفرنسي سواءا داخل الوطن أو خارجه.

وبما أنه كلما شهد المجتمع تغييرا فأكيد تتأثر معه مؤسساته، لذا وجب علينا أن نقوي ونحّين إن صح التعبير مؤسساته التنشئوية ونطور أساليبها ونضاعف جهودها لمواجهة هذا الغزو الثقافي الذي تواجهه، وهذا مالم يحدث في المجتمع الجزائري، فبينما الشباب منغمس في التفرج على حضارة الغرب ومنبهر بإنجازاتها وتطورها ورفاه مواطنيها، لازالت الأسر والمدارس والمساجد وغيرها تكلمهم بخطابات قديمة خشبية تفتقر إلى عنصر الحداثة والإبهار في الإقناع الذي يبحث عنه الشباب، أي على الحوار الواقعي الصريح والمباشر باستخدام مصطلحاته التي يستعملها هو، مع إمكانية تعديلها وفق ما تتطلبه قيم ومعايير مجتمعنا، وبتشجيعه لكن بتحفظ على استخدام وسائل الإعلام الحديثة لكن بانتقاء الأجود والأنفع له لكي لا ينعزل عن الحداثة، و كذا إشراك الفرد في الحياة الأسرية منذ طفولته من طرف أسرته لحين كبره وإشراكه بالحياة الاجتماعية وهكذا دواليه... فعلى كل مؤسسة من هذه المؤسسات أن تأخذ على عاتقها شقا تستثمر فيه طاقات الأفراد لتعطي لهم مناعة إن صح التعبير في مواجهة أخطار وسلبيات العولمة التي نشهدها.

أما بالنسبة للفاعلين السياسيين والاقتصاديين و الثقافيين... فيجب عليهم " التعامل مع جيل الشباب بأدوات الحاضر وثقافة حية وفاعلة ورؤية دينية توصل بقضايا العصر وتجيب عن تساؤلاته[44]. وأن يعملوا على التأسيس لمشاريع تنموية عصرية يشركون فيها الشباب في شتى مجالاتها الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية، ليشعر بالثقة والانتماء ومن ثم المواطنة التي اختلت هي الأخرى قيمها ومعاييرها سيما بعد ما مرت به الجزائر من أزمة سياسية و أمنية في التسعينات و التي لا تزال تداعياتها حتى وقتنا الراهن، هذا من أجل إعادة بعث الثقة وفي سبيل بناء فرد ومواطن فعال له دور وواجب وبالتالي عليه مسؤوليات يقوم بها ليحافظ على مكتسباته ويحفظ مكانته تلك.

وعليه لا حل لهذه الهجرة سوى الإشراك والدمج في المجتمع، لأنه وبالعودة إلى دراسة خالد نور الدين [45].فيما يخص وعي الشباب بالمخاطر المحفوفة للهجرة غير الشرعية فقد بينت أن ما يقارب 60% من عينة بحثه كانت على دراية بتلك المخاطر، في حين أن 23% من حالات دراسته لم تكن على دراية بمخاطر المغامرة، ونسبة 9.1 % كانوا أكثر إصرارا وتحديا، وعليه فهذه الفئة ليست بحاجة للتوعية والإرشاد وتلك الخطابات بمخاطر الرحلة، بقدر ماهي محتاجة للتكفل بها وبانشغالاتها عن طريق إشراكها في شتى المجالات لتبني هي كذلك مجتمعها وتشكل واقعها لتحس بالانتماء له، والذي بدوره يجعل قرار مفارقة الوطن أمرا صعبا عليها والعكس صحيح، خاصة بعد أن تعدت الهجرة السرية المجتمع الذكوري وأصبحت تمس مختلف الشرائح العمرية والجنسية، ففي دراسة أمنية نشرتها جريدة الشروق اليومي،كشفت أن أغلب الحراقة ما بين 18 و 28

سنة بما في ذلك كهول تتجاوز أعمارهم 40 سنة (نساء، شابات، طلبة، موظفين، عمال...أصحاب نشاطات حرة) وعليه فهم من جميع الطبقات الاجتماعية، و عليه لا يمكن أن نحصر دوافع هذه الهجرة في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي أو التقليد الأعمى للغرب فقط!! بل هي مجموعة عوامل تراكمت و تظافرت لتبرز لنا على هذا الشكل من الحراك الجغرافي والذي الغرض منه في الأساس هو إثبات الذات وتحقيق حراك أو ارتقاء اجتماعي، فالمفروض أن المسيرة الاجتماعية الناجحة للفرد تبدأ بارتقاء اجتماعي أولا، و نقصد به هنا الارتقاء في الوظيفة والمنصب وتحصيل مكانة مرموقة داخل مجتمعه، ثم يليها حراك مجالي يتوافق ومكانته الجديدة تلك، لكن بما أن أغلب هؤلاء المهاجرين السريين لم يوفقوا في تحصيل النجاح و الإنجاز في الوظائف، ومن ثم في الارتقاء الاجتماعي،فقد اعتبروا أن مسيرتهم الاجتماعية في الجزائر قد فشلت، وإن مكثوا في وطنهم فسيبقون على حالهم دون تحقيق أي تغيير أو تقدم، لذا تجدهم فضلوا الهجرة لتحصيل المكانة الاجتماعية التي يفتقدونها في وطنهم الأصلي.

الخاتمة

بشكل عام يمكن أن نختم بأن نقول أنه "عصر الهجرة" بامتياز على حد تعبير ستيفن كاستلز ومارك ميلرر[46] وأن الهجرة السرية تعد أحد أشكالها التي تتم على طريقة غير مشروعة تتبناها فئة معينة للعبور للضفة الأخرى خاصة أوربا بحثا عن مجتمع يحظى فيه بحقوق يناشدها ويلبي فيها حاجات نفسية، اجتماعية واقتصادية افتقدها ببلده الأم، وسواءا أأعتبر هذا التصرف هروبا أو انسحابا أو تمردا أو رفضا للمجتمع الأصلي، فهو يعبر عن رد فعل من هاته الفئة حيال واقعها المعيش و انعكاسا مباشرا لمختلف التغيرات التي حدثت بالجزائر وغيرها من البلدان، لكن اتخذت هذه الظاهرة في الجزائر عدة أشكال، و تفاقمت بشكل مخيف نظرا لتظافر مجموعة من العوامل ساهمت في حدتها ،والتي تجعلنا نذهب بأن نقول أن هذا النوع من الهجرة هو أعمق من أن يكون ظاهرة بل هو مرآة تعكس واقع شبابي معيش في ظل تغير اجتماعي واقتصادي وتكنولوجي فائق السرعة لم تحضر له الآليات والوسائل اللازمة للتكيف معه وفق متطلبات مجتمعاتنا النامية، لذا وجب علينا أن ننظر في الهجرة السرية من أبعاد مختلفة، فإذا اعتبرناها مشكلة اجتماعية فحسب "فير تشايلد "هي موقف يتطلب معالجة إصلاحية لأنه ينجم عن ظروف المجتمع أو البيئة الاجتماعية ويتحتم معه تجميع وسائل الاجتماعية لمواجهته وتحسينه، وإن اعتبرناها مشكل أو خلل قيمي ناتج عن مؤثرات خارجية "العولمة" وتغير اجتماعي عنيف، وجب علينا مواجهة هذا الخلل بالبدأ في إصلاح مؤسسات التنشئة الاجتماعية في ظل ما تواجهه من وهن وضعف وسط ضغوطات العولمة وتأثير وسائل الإعلام التي ساهمت في تراجع مردوديتها. كما يجب على كل الفاعلين السياسيين والاجتماعيين والاقتصاديين والإعلاميين خاصة العمل سويا من أجل كسب هذا التحدي، وعلى "المسؤولين أن ينهجوا سياسة الاتصال الرشيد التي تعمل على توعية الجمهور بالمشاكل التي تعترض عملية التنمية في بلادهم لدفعهم للإسهام فيها" [47]وليس للهروب منها نحو مستقبل مجهول.

الهوامش:

1- محمد بدوي، مبادئ علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2006، ص 331.

2- أنتوني جيدنز،علم الاجتماع، ترجمة وتقديم فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط01، بيروت، 2005، ص333.

3- أنتوني جيدنز، المرجع نفسه، ص335.

4- العيد فقيه، دراسة نفسية للشباب الذي خاض تجربة الهجرة السرية عبر القوارب وسبل التكفل بهم عمليا في الجزائر، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ، العدد 09، سنة 2014، ص 62

5- رفيقة معربيش، جريدة الخبر، العدد 2034 ليوم 2018/02/27 ص 05.

6- 2018/07/08https://arabic.euronews.com

7- بسقلال الطيب، علاقة المهاجرين الوافدين الأفارقة غير الشرعيين بالوسط الحضري وتفاعلهم مع الساكنة ، مذكرة ماستر في علم الاجتماع، جامعة عبد بن باديس، مستغانم، 2017-2018. ص 02 (رسالة غير منشورة).

8- ONUDAES:httpss:www.un.org/en/developomentdesa/population/migration/data/estimations 30/03/2020

9- الهادي بوشمة، الهجرة غير الشرعية(الحرقة) حالة الجزائر، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد 4، عدد 01، 2009 ، ص ص 225-244

10- مساعد عبد العاطي شتيوي، التدابير والإجراءات المصرية لمكافحة ظاهرة الهجرة غير الشرعية، ندوة الهجرة غير الشرعية-الأبعاد الأمنية والإنسانية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، سطات، المملكة المغربية، 2014، ص 63.

11- هشام صادق،الجنسية والموطن ومركز الأجانب، في مساعد عبد العاطي شتيوي، مرجع سابق، ص 10.

12- بيار فرانسيس،الهجرة غير المشروعة بين الدول العربية في احمد عبد الله وناظر أحمد منديل 2017، الهجرة الدولية ، دراسة في إطار القانون الدولي العام، مجلة جامعة تكريت للحقوق السنة 01 المجلد 01 عدد 3 ، ج01، سنة 2017 ، ص 179.

13- سلامنية بن داوود، Harraga s ces éternels incompris! في طايبي رابح: الهجرة غير الشرعية في الجزائر(الحرقة) من خلال الصحافة المكتوبة، أ. ماجستير في الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 2008 -2009، ص 22(رسالة غير منشورة).

14- الديوان الوطني للإحصائيات فيموقع إيكو ألجيريا17 يوليو 2007 21:27، تاريخ التصفح 2019/02/14: 12.42

15- فتحي محمد أبو عيانة، دراسات في علم السكان، دار النهضة العربية، بيروت، ب.ت، ص. 160

16- فتحي محمد أبو عيانة، المرجع نفسه، ص 187

17- تقرير منظمة الأمم المتحدة، 2005.

18- إبراهيم النور، مركز شركاء التنمية، 2009 فيhttp://www.startimes.com بتاريخ 2011/11/28: 12.02

19-الدهيمي الأخضر عمر،الهجرة السرية في الجزائر فيسعيدي، وردة: سمات شخصية المراهق الجزائري المهاجر غير الشرعي وفق نظرية العوامل الخمس الكبرى للشخصية، أطروحة دكتوراه ل م د، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2016-2017، ص 111 (رسالة غير منشورة).

20- أنتوني جيدنز، المرجع السابق نفسه، ص 335

21- عثمان الحسن محمد نور وآخرون،الهجرة غير المشروعة والجريمة، في بركان فايزة آليات التصدي للهجرة غير الشرعية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الحقوق، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012، ص 55.(رسالة غير منشورة).

22- فوكة سفيان، مشري مرسي محرر:الهجرة غير شرعية في منطقة البحر الأبيض المتوسط ،المخاطر و استراتيجيات المواجهة، بيروت،ابن النديم ، دار الروافد الثقافية ، 2014 ، ص 140.

23- محمد بدوي، المرجع السابق نفسه، ص285

24- محمد بدوي، المرجع السابق ، ص 400

25- سحنون أم الخير، الهجرة غير الشرعية لدى الشباب الجزائر الأسباب والعوامل،جامعة خميس مليانة، ب. ت

26- عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، 1989 ص- ص 20-21

27- إبراهيم محمد عياش، الهجرة غير الشرعية، الجزء 02 ، في الحوار المتمدن 27 /2008/08 http://m.alhewar.org

28- محمد بدوي، المرجع السابق نفسه، ص ص385-401

29-Made of minds DW, الأخبار www.dw.comفي 2017/08/03، تاريخ التصفح 20019/02/21 على 17.54

30-محمد غربي وآخرون،الهجرة غير الشرعية في منطقة البحر الأبيض المتوسط، المخاطر واستراتيجيات المواجهة، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 01 ، 2014 فيhttp//albordj.blogpost.com)

31- فايزة بركان ، آليات التصدي للهجرة غير الشرعية ،مذكرة ماجستير في الحقوق، جامعة الحاج لخضر، باتنة،2011-2012،ص .25(رسالة غير منشورة).

32-الكردي خالد إبراهيم حسن: قراءة في سيكولوجية الهجرة غير المشروعة الأبعاد الأمنية والإنسانية، ورقة علمية مقدمة في الندوة العلمية بعنوان" الهجرة غير الشرعية: "المنعقدة في مدينة سطات بالمغربمن 4-2015/2/6، ص 30

33- العيد فقيه،المرجع السابق نفسه، ص62

34- منتدى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا فاس سايس

35- مزوز بركو، اضطرابات الوظيفة الأسرية، التنشئة الاجتماعية في الأسرة الجزائرية، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية ،عدد 12-22 شتاء وربيع 2009.

36-محمد الجوهري وآخرون،التغير الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، مصر، 1995

37- فهد عبد الرحمان الخريف، مقرر محتوى التغير الاجتماعي سلسلة محاضرات، جامعة الملك فيصل للتعليم عن بعد، ب ت.

38-رحالي حجيلة: التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري، المفهوم والنموذج ، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد 04 22 ماي ، جامعة بسكرة، الجزائر، 2014.

39- عاطف غيث، الموقف النظري في علم الاجتماع المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص 209.

40- ليلى بلعيفة: التغير القيمي السوسيو ثقافي في المدينة الجزائرية، المظاهر والأبعاد، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2009.
41- عاطف غيث، علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص 322.
42-بليفة ميلود،صورة الغرب في المخيال الثقافي والاجتماعي للشباب الجزائري، طلبة جامعة تلمسان نموذجا، أطروحة دكتوراه في الأنثروبولوجيا جامعة تلمسان 2014.(رسالة غير منشورة).
43- ستيفن آر كوفي: القيادة المرتكزة على مبادئ، فيمحمد بومخلوف وآخرون، ضغوط الحياة الحضرية وانعكاساتها على التربية الأسرية العدد 1، مخبر الوقاية و الأرغونوميا، جامعة الجزائر، ص 82، 2007.
44-بن صغير فارس، واقع الهجرة غير الشرعية، الأسباب و تدابير التصدي، مجلة آفاق لعلم الاجتماع، عدد 02 جامعة البليدة 02، ص ص 311-332.
45- خالد نور الدين، مراهقون حراقة، المغامرة بالحياة كمخرج وحيد لتحقيق الذات في سعيدي وردة ، المرجع السابق نفسه، ص 10.
46- ستيفن كاستلز ومارك ميلرر: عصر الهجرة، ترجمة منى الدروبي، المركز القومي للترجمة، مصر، ط 2013.
47- فايزة بركان: ، آليات التصدي للهجرة غير الشرعية،المرجع السابق نفسه ، ص ص .57-61.